تفسير سورة البقرة الحلقة ٦

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٦)**

**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٧)**

مر الحديث حول هاتين الآيتين الحديث أيضا يتسع قليلا في بعض ما يرتبط بهاتين الآيتين.

الآيتان تبينان أن اللجاجة والعناد والكفر شيء واحد الكفر هو الطمس الحق بعد معرفته واللجاج هو كذلك اللجاج في الدين هو إخفاء الدين والعناد وعدم قبول الحق مع معرفته واللجاج والعناد سبب لخسارة صاحبها وكأنه فاقد للقلب الشخص الذي يعاند ولا يريد أن ياخذ كأنه ميت ليس عنده قلب ليس عنده عقل ليس عنده إدراك فإصراره على عدم تقبل الأمور الواضحة يدل على موته وعدم حياته وعدم وعيه، من بلغ به الأمر كذلك صار معاندا ملاججا كافرا لا يرجى له الهداية إذا وصل إلى هذا المستوى طبع على قلبه فلا يرجى له الهداية ولا تنفع معه موعظة نستجير بالله من ذلك؛ لا يتصور أحد أنه جبر أو أن هناك شخص مجبور على الكفر إنما ما اتخذه باختياره هو سبب لهذا العنان يعني هناك خطوات ومقدمات يعملها الإنسان توصله إلى ذلك وسيأتي الكلام فيها إن شاء الله.

يقول تعالى **"أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ"** لأنه اتخذ إلهه وهو يعني جعل الهوى والشهوة والرغبة مقدم على كل شيء فسبب له ذلك؛ هنا انواع القلوب كثيرة يمكن تلخيصها في نوعين:

النوع الأول: القلب السليم

القلب السليم أشار إليه القرآن وهو الغاية في خلق الإنسان وهو الغاية في رجوع الإنسان إلى الله ونجاة الإنسان **" يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"** كأن الإنسان في هذه الدنيا قلبه صاف يتطور إلى أن يكون بمستوى من السلامة والقوة والمقبولية فيرجع لله سبحانه وتعالى فيكون هو الفائز، من خصائص القلب السليم - أذكرها سريعا هذه كلها عناوين - من خصائص القلب السليم:

1. أنه منيب وكثير الرجوع لله سبحانه وتعالى، القلب السليم ليس يعني دائما أنه لم يخضع و إنما دائما عنده خوف من الله و رجوع عن الخطأ **"مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ"** يرجع لله سبحانه و تعالى راجيا رحمة الله رافضا كلما يكدر هذا القلب.
2. الخوف و الخشية و الحضور، يستحضر وجود الله فيرى وجود الله **"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ"** مؤمن الذي قلبه سليم من خصائصه أنه بذكر الله يلتفت يشعر بالموعظة يشعر بالتنبيه.
3. الرحمة و الرأفة، قلبه رحيم رؤوف لأنها من صفات الله فهو يتخلق بهذه الأخلاق **" وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً "**
4. السكينة والاطمئنان صفة من صفات القلب السليم مطمئن هذه طبعا هذه الصفات وهذه العلامات ذكرها ليطبقها الإنسان على نفسه فيرى يتصف بها أو يتصف بضدها فإن وجد عدم الاتصاف سعى لأن يتصل بها وإن وجد ضدها حاول أن يزكي نفسه من ضدها فالسكينة والاطمئنان **" وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ "** المؤمنون وهم في أشد الأمور وفي المعارك وفي المآسي وفي المصائب وفي الكوارث قلوبهم مطمئنة لا يخفى علينا مثلا إذا ذكرنا الإمام رضوان الله عليه عند ما أراد اغتياله وهجوم الإمام كان مستقرا وينقل حتى أنه لم تتأثر ضربات القلب لماذا الاطمئنان الشديد **" وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ "** **"هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ"** يصل إلى درجة السكينة والاطمئنان لا يخاف ولا شيء.
5. قلب ليس فيه أحد إلا الله، القلب السليم هو الذي يرجع بعد ذلك لله سبحانه وتعالى لا يتعلق بأحد إلا الله **"وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا"** يقولون أصبح فارغا يعني حتى هذا الولد الذي هو نبي الله موسى ألقته في اليم **"وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"** **"وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا"** أصبحت مطمئن كل الإطمئنان وليس هناك شيء يشغلها إلا الله سبحانه وتعالى.
6. قلب يحب ذكر الله ويطمئن به، نقول هذه صفات يحاكي الإنسان نفسه ويسأل نفسه هل أنه يرتاح لذكر الله أم لا فإن لم يكن فليس عنده القلب السليم **"الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"**
7. قلب متعلق بالآخرة لا يرى الدنيا إلا معبرا والآيات كثيرة ومنها ومن الأحاديث الكثير أمير المؤمنين سلام الله عليه عندما أيضا تجده يتكلم عن التعلق بالدنيا ويقول:« ما لعلي ونعيم يفنى» النظر للباقي للآخرة.

النوع الثاني: القلب القاسي، الذي هو مورد هذه الآية، آيات كثيرة تكلمت عن قسوة القلب **"ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً"** قلوب قاسية لا ينفع معها شيء **"فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا"** الإنسان بطبيعته إذا أصابته مصيبة يرجع مباشرة ويطلب النجاة من الله **"وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"** الذي وصل إلى درجة قسوة القلب وران على قلبه مع وجود هذه المصيبة لا يلتفت ولا يرجع ويتوب و إلا المصائب هي موعظة ليرجع الإنسان لكنها لم تنفع مع من قسى قلبه **"لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ"** القاسية قلوبهم الشيطان كلما أوحى لهم بشيء أو ذكر شبهة ركضوا إليها **"فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"** الذي قلبه قاسيكون في ضلال تام وضياع من علامات قسوة القلب كثيرة أذكر أيضا من ضمنها:

1. الغفلة عن ذكر الله - قلنا أن هذه الصفات عندما يذكرها الشخص ويسأل نفسه فإن وجد فيها عنده قسوة يعني هو في خلل - واحد الغفلة عن ذكر الله **"وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا"** يغفل عن ذكر الله مطلوب من إنسان دائما يذكر الله في كل مكان قائما قاعدا منبطحا على يمينه على شماله على جنوبه عليه كل وقت كلما استطعت أن تذكر الله سجل لك ذلك وصار سببا للتوفيق.
2. قلب مائل للشبهات والفتن القلب القاسية ميل دائما للشبهات مجرد إذا ذكروا شيء لا يبحث عن الشيء الجميل فيه إنما يبحث عن الشبهة وعن مخالفة **"فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه"** يبحثون عن الطريق المنحرف.
3. قلب تراكمت عليه الذنوب بلا توبة لذلك المطلوب الأحاديث مضمون الحديث يقول هنيئا لامرء في يوم القيامة مضمون الحديث انه عندما يعرض الإنسان يوم القيامة فيوجد في صحيفة أعماله عند كل ذنب استغفر الله يقال هنيئا له لأنه كلما اذنب تاب وذهب أثر الذنب أما من تراكمت عليه الذنوب بلا توبة **"كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"** يكون على قلبه طبقات.
4. قلوب منكرة للحق مع العلم بها قلوبهم منكرة يعلم ولكنه ينكر مرة ينكره بلسانه ومرة ينكره بفعله فإن وجدت نفسك تنكر بفعل فهذا قلب قاسي.
5. التعصب الأعمى، اتعصب لمن؟ لنفسي لأهلي لجماعتي بغض النظر عن كونهم حق أم باطل **"فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ**" حمية الجاهلية يتعصب الجاهلية يعني من غير حق من غير علم تعصب للباطل.
6. ضيق الصدر والاشمئزاز عند ذكر الله **"وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ"** لا يؤمنون بالآخرة.
7. قلب لاه **"لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ"**
8. الوجل وعدم الاطمئنان، الذي يكون قلبه قاسيا دائما غير مطمئن دائما مضطرب بحياته مضطربة **"سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا"** قلوبهم غير مطمئنة؛ نتحدث إن شاء الله بعد ذلك عن سبب قسوة القلب وعلاجه.

و الحمد لله رب العالمين